Al-Mukhtar Journal of Social Science 43 (1): 191-202, 2025
Doi: https://doi.org/10.54172/tyzk3641

Research Article

Open Access

حركة مناهضة عبادة الأيقونات (726-787م)

انتصار خالد حمد هزاوي[1]*

الباحث الاول[1]*: قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عمر المختار

المســـــتخلص: بـدأت حركـة مناهضـة عبـادة الأيقونـات Icons(الصـور المقدسـة) منـذ عهـد الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري (717-741م)، الذي أصدر مرسومًا عام (726م) يُحرِّم فيه عبـادة الأيقونـات، ويقضـي بإزالـة التماثيـل المتمثلـة قـي الصـور الدينيـة كصـور السـيد المسـيح والسيدة العذراء، وكذلك تحريم عبادة صور القديسين والصلبان من الكنائس والأديرة والبيوت؛ لأنَّها ضرب من الوثنية .الهدف من هذه الورقة هو تتبُّع المرحلة الأولى من تحطيم الأيقونات، التي انتهت بمجلس نيقية الثاني في عام (787م) ، تكمن اهمية هذه الورقة في انها توضح أنه على الرغم من أن حركة مناهضة الأيقونات كانت تبدو_ في ظاهرها_ حربًا دينية إلا أنها في جوهرها نزاع بين الأباطرة والكنيسة، نزاع أراد الأمبراطور ليو الثالث وخلفائه من ورائه السيطرة على الكنيسة.لم يتوقف الصراع اللاأيقوني موت ليو الثالث، بل استمر في عهد خلفائه، لم يؤثر الجدل اللاأيقوني على تاريخ الكنيسة البيزنطية (الأرثوذكس) فحسب، بل اثر أيضًا بشكل دائم على العلاقات بين الأمبراطورية البيزنطية وروما.

الكلمات المفتاحية: الأيقونات، الأباطرة الأيسوريين، الكنيسة الشرقية، الكنيسة الغربية.

[1]*Corresponding author:
Intisar Hazawi
Intisar.hazawi@omu.edu.ly
Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University

Received:
03/05/2025

Accepted:
18/06/2025

Published online:
30/06/2025

Iconoclasm Movement (726-787 AD)

Abstract: The Iconoclasm began during the reign of Emperor Leo III in (717-741 A.D), who issued a decree in (726 AD) prohibiting the worship of icons, and requiring the removal of statues represented in religious images such as images of Jesus and Mary, as well as the prohibition of worshiping images of saints and crosses from churches, monasteries and Houses. The Iconoclasm did not stop with the death of Leo III, but continued during the reign of his successors.it seems that Iconoclast controversy did not affect the Orthodox Church only, but also permanently influenced relations between the Byzantine and Rom (Catholic Church). This paper investigates the first period of Iconoclasm, which ended with the Second Council of Nicaea in 787A.D, and after which it called the new period of Iconoclasm. This paper also clarifies although the idea of the conflict was religious, in essence it was a conflict between the emperors and the church, a conflict from which the emperor Leo III and his successors sought control of the church.

Keywords: Icons, the Isaurian Emperors, Eastern Church, Western Church

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة:

أصبحت المسيحية الدين السائد في الإمبراطورية الرومانية بعد اعتراف الأمبراطور قنسطنطين الكبير Constantine I (305–337م) بها في مرسوم ميلان عام (313م): في عام 325 عقد الأمبراطور قنسطنطين المجمع المسكوني في نيقية، ونظرًا لأن وحدة الكنيسة المسيحية هي أمر أساسي لوحدة الإمبراطورية، وضع قسطنطين فكرة (زعامة الكنيسة)، ولم يكن خلفاء قسطنطين الذين اتخذوا المسيحية دينًا رسميًا للدولة أقل حرصًا على تدعيم هذه السلطة.

عمل الأمبراطور قنسطنطيوس Constantinus خلال فترة حكمه منفردًا (351–361م) على دعم هذه الفكرة، ويتضح ذلك في حوار دار بينه وبين الأسقف هسيوس الذي أرسل رسالة للأمبراطور قال فيها:" اِعْطِ مالقيصر لقيصر وما لله لله "، وأقرَّ أنه ليس من حق رجال الدين ممارسة الحكم، كما أنه ليس من حق الأمبراطور إحراق البخور في الكنيسة، و أوضحت هذه الرسالة حجم المعارضة الشديدة من جانب الأسقف بعد أن تبين له أن سلطة الكنيسة اصطدمت بالفكر السياسي للأباطرة الرومان في رسالة من البابا جلازيوس الأول Gelasius I (492–496م) إلى الأمبراطور انستاسيوس الأول (419– 518م) يخبره فيها أنه على الرغم من علو سلطة الأمبراطور على الشعب، إلا أنه يجب عليه أن ينحني إجلالًا لرجل الدين .

لم تنل آراء البابوية رضا أباطرة القرن السادس الميلادي، الذين يؤمنون بفكرة الأمبراطور، وأنَّه هو: "الكاهن الأعظم" وقد تعززت هذه الفكرة في عهد الأمبراطور جستنيان الأول Justinian I (527–565م)، الذي رفع شعار دولة واحدة، وقانون واحد، وكنيسة واحدة، وأنه السيد الأعلى والمشرع الأعلى للدولة، ونائب المسيح على الأرض، وقد جاء في أحد تشريعاته: حيث إن السلطة الأمبراطورية والكهانة تصبان من منبع واحد، فليس هناك ما يهتم به الأمبراطور بالدرجة الأولى، سوى سمعة الكنيسة.

في القرن الثامن الميلادي وصلت فكرة القيصرية البابوية إلى قمة اكتمالها؛ وذلك عندما تدخل الامبراطور ليو الثالث Leo III في شؤون الكنيسة جاعلًا نفسه امبراطورًا وأسقفًا، بعد أن شن حملة على الأيقونات التي تمثل السيد المسيح والعذراء والقديسين والصور الجدارية والفسيفساء التي تزين الكنيسة من الداخل، التي سمحت الكنيسة منذ فترة مبكرة التأمل فيها، والسماح للمشاهد بالتواصل المباشر مع الشخصية المقدسة ليس لتبجيل الصورة، بل للوصول إلى أصحابها من خلالها، وقد رأى ليو الثالث وخلفائه من الضرورة بمكان إزالة هذه الأيقونات الدينية بحجة أنها ضرب من الوثنية، ووجب محاربتها تلك الحرب التي استمرت لمدة تزيد عن مائة عام.

تركز هذه الدراسة على تتبع المرحلة الأولى من حركة مناهضة الأيقونات؛ ذلك لأن صراع الأيقونات ينقسم إلى فترتين منفصلتين: الأولى من السنة (726م)، وتنتهي بالمجمع المسكوني السابع (787م)، والثانية تمتد من سنة(813م) حتى سنة (843م)، وتنتهي بعودة الأرثوذكسية إلى حالتها الأولى، ولم تكن المرحلة الثانية مجرد خاتمة للمرحلة السابقة بقدر ما كانت مرحلة جديدة لها سماتها وخصائصها؛ لهذا السبب اقتصرت هذه الدراسة على المرحلة الأولى من حرب.

الأيقونات.

تدور اشكالية هذه الدراسة على محاولة إبراز الدوافع السياسية للأباطرة من وراء حرب الأيقونات، لتوضيح أن الدوافع الدينية لم تكن إلا ستارًا أراد من ورائه الأباطرة اللا أيقونيين تنفيذ فكرة القيصرية البابوية كما تتوخى هذه الدراسة أيضًا تسليط الضوء على أثر هذا النزاع على العلاقات بين كنيستي روما والقسطنطنية.

يمكن ان تكون حركة مناهضة الأيقونات في جوهرها نزاعًا سياسيًا مع الكنيسة للاستحواذ على السلطة، وذلك عندما رأى الإباطرة أن الكنيسة منافس لهم على السلطة. تدور هذه الدراسة على محاولة اللإجابة عن مجموهة من التساؤلات تتمثل في:

هل أسباب حرب الأيقونات كانت دينية محضة، أم أنها كانت حربًا من جهة الأباطرة لبسط هيمنتهم على الكنيسة؟

إلى أي مدى أثر النزاع اللا أيقوني على العلاقات بين روما والأمبراطورية البيزنطية؟

يعد الهدف من وراء هذه الدراسة إسهامًا متواضعًا إلى جانب الدراسات العربية السابقة التي قام بها الباحثون في موضوع الحركة اللاأيقونية؛ مثل طرخان (الحركة اللأيقونية في الدولة البيزنطية) غير أن مثل هذه الدراسات قد أهملت حوليات المؤرخ ثيوفانس Theophanes (757–817 م)، الذي يعد مصدرًا مهمًا في هذه الدراسة. وكما هو معلوم لدينا أن ثيوفانس كان عضوًا في الطبقة الأرستقراطية البيزنطية، خدم في بلاط الأمبراطور ليو الرابع، ثم أصبح راهبًا ومؤرخًا. لقد خصص ثيوفانس في حولياته جزءًا عن الأيقونات تجلت فيها كراهيته للأباطرة اللا أيقونيين. قاوم ثيوفانس تحطيم الأيقونات، وتمَّ إلقاؤه في السجن، وعانى لمدة عامين من المعاملة القاسية، وبعد إطلاق سراحه تم نفيه في عام (817م)، ومات بعد وقت قصير.

اعتمدت الدراسة على المنهج السردي التحليلي الذي سلك سبيل سرد المعلومات، ثم تحليلها، والوقوف على بعض الآراء المطروحة، كلما دعت الحاجة إلى ذلك ومناقشتها.

1.الأيقونات قبل ظهور الحركة اللا أيقونية:

صاحب انتشار المسيحية في بيئة مشبعة بالأوهام والخرافات الاعتقاد في المعجزات والنبوءات فسرت كل المحن والكوارث تفسيرًا دينيًا، وأصبحت الصور والتماثيل تمد الناس بالقوة والحظ، حتى إن الكنيسة نفسها اعتقدت أن وجود هذه الصور يعود على الكنيسة بالخير والحظ الوفير، وقد احتلت صورة السيدة مريم والدة المسيح مكانة عند سكان القسطنطينية فأرجع البعض انتصار الأمبراطور هرقل Heraclius (610–641م) في حربه مع الفرس إلى احتفاظه بصورة العذراء، التي سقطت عليه من السماء،كما اعتقد الأساقفة أنفسهم أنَّ يد تمثال السيدة مريم يقطر عطرًا برائحة طيبة، وارتفعت مكانة رجال الدين الأحياء والأموات، ولتحقيق أمانيهم اعتمد الناس على شفاعة القديسين، فمثلا أمن الناس بالقديس ديمتروس (Demetrius) في سالونيكا، كما اعتبر القديس لوقا (Lucas) أحد حواري السيد المسيح أول من رسم أيقونة العذراء، واعتقد البعض أنَّ أيقونة السيد المسيح، كانت من صنع الله (Baynes, 1951, pp.95–97). ويظهر أن هذه الاعتقادات تدل على أن الكثير من العباد اعتنقوا المسيحية بشكل سطحي، ولم تتعمق المسيحية في قلوبهم على

الرغم من أن سياسة الأباطرة الأيسوريين المحاربين للأيقونات اعتبرت كخرق مفاجئ لتقليد معترف به في العالم المسيحي إلا أنَّ جذور هذه الحركة ترجع إلى القرن الرابع، فقد ثار كثير من المسيحيين على هذه البدع واسترعت انتباه أباء الكنيسة الأساقفة، وعملوا على مقاومتها، من أمثال القديس ابيفانيوسEpiphanius (320–403م) الذي مزق ستارة مصورة معلقة في إحدى الكنائس الشرقية دون أي احتجاج من قبل الناس(Baynes,1951,p.95)، وفي القرن السادس الميلادي قام أحد الجنود في أنطاكيا بقذف صورة السيد المسيح بالأحجار، ويبدو أن هذا الأمر لم يثير الجدال لأنه كان في عهد الأمبراطور موريس Maurice (582–602م) الذي عرف بكراهيته للايقونات (Whitby, 1988,p.23).

وفي روما أمر أسقف مرسيليا سيربتيوس (Cerabtus) بتحطيم الأيقونات في الكنيسة، الأمر الذي دفع البابا جريجوري Gregory I (579–590م) أن يبعث له رسالة يلومه على ما قام به، ويبين له فيها أن الأيقونات وسيلة للتعليم البسطاء، وبث الحمية في نفوسهم، في الوقت ذاته أنكر البابا ما يقوم به الناس من سجود للأيقونات واعتبرها ضربًا من الوثنية (Baynes, 1926, p.90)، وقبيل إصدار الأمبراطور ليو الثالث قرار بإزالة الأيقونات حرض كل من القس توماس رئيس كنيسة كوديبولس Caudiopolis و قسطنطيين رئيس كنيسة أوكوليا Oacolea باسيا الصغرى على ترك عبادة الأيقونات بسبب تزايد عدد المتعبدين للأيقونات الذين اعتبروها وساطة للوصول للخالق ، ولما تجد هذه الدعوة صداها من وجهة نظر الارذثوذكس هراطقة (أصحاب البدع)(Ostrogorowski,1969,p.143)

2.موقف الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري وخلفائه من عبادة الأيقونات:

غضب الأمبراطور ليو الثالث Leo III (717–740م) من إفراط الناس في التقرب للأيقونات كصور السيد المسيح والعذراء (انظر الشكل 1)، إلا أنه لم يشرع في سياسته اللا أيقونية إلا بعد حدوث زلزال في ثيرا Thera؛ إذْ استغل ليو الثالث هذا الحدث، واعتبر ليو الثالث أن ذلك كان بمثابة علامة غضب من السماء على عبادة الأيقونات (Theophanes, 1982, p.96). أصدر الأمبراطور ليو الثالث قررًا عام (726م) وبدا الجنود يرفعون الأيقونات في أماكن مرتفعه بعيدة عن العباد، غير أن محاولة الجنود لرفع التمثال الكبير للسيد المسيح المنصوب على البوابة البرونزية للقصر الامبراطوري(انظر الشكل 2) الذي حضى بمكانة مقدسة عند الشعب،(Vasilive,1952,p.258) ، أدى الى اندلاع ثورة ضده قُتِل فيها مندوب الأمبراطور الذي حطم التمثال، وقُتِل فيها الكثير من المتظاهرين، الأمر الذي دفع الأمبراطور إلى تطبيـق سياسته اللا أيقونية، وتمكن الجيش من إخمادها بالقوة (Theophanes, 1982, p.97).

شكل رقم 1: ايقونه تمثل السيدة العذراء والسيد المسيح.

Léonide Ouspensky, Vladimir Lossky, (1982) the Meaning of Icons, Vladimir's Seminary Press, p.95.

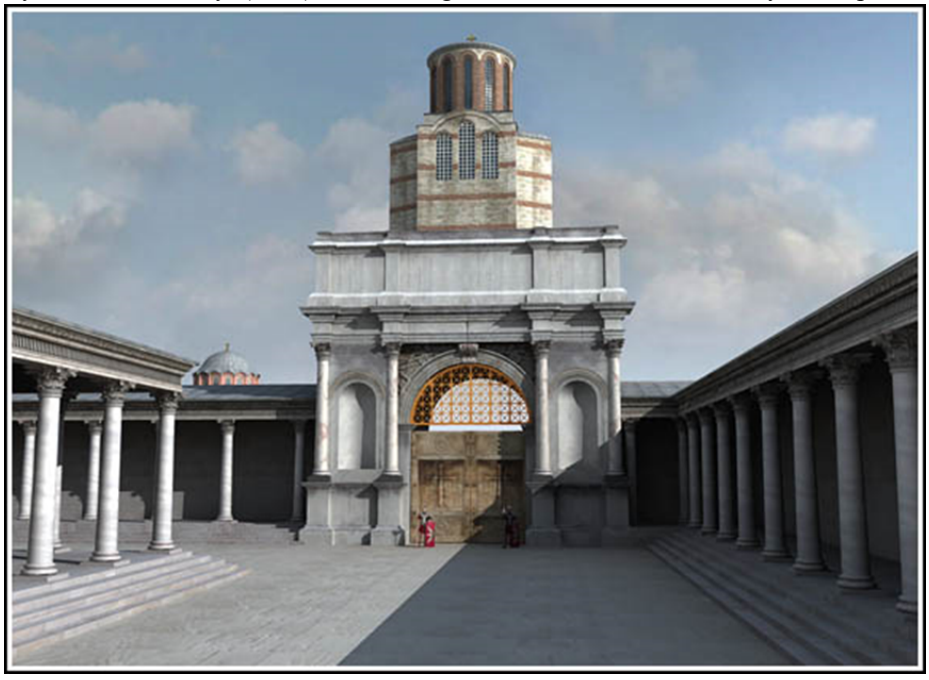

شكل رقم 2: البوابة البرونزية للقصر الامبراطوري

Haldon, John & Ward-Perkins, Bryan (1999) "Evidence from Rome for the image of Christ on the Chalke gate in Constantinople", p. 289.

اختلفت آراء المؤرخين حول الأسباب التي دعت الأمبراطور ليو الثالث إصدار مرسومًا يأمر فيه بإزالة الصور والتماثيل من الكنائس، وحرم فيه تصوير السيد المسيح والعذراء(انظر الشكل 2)، فرأى البعض أن الهدف وراء هذا القرار هو خوفه من ازدياد ثروة الرهبان، وتزايُد نُفُوذهم، وازدياد انتشار نفوذ الأديرة التي تمتلك الكثير من الأراضي، والمعافاة من الضرائب، الأمر الذي أثر على خزانة الدولة، كما رأى ليو الثالث أيضا أن الأديرة جذبت الكثير من الجنود، وصرفتهم بذلك عن الخدمة في الجيش، ويعلل أنصار هذا الرأي أن الأمبراطور ليو الثالث أراد من خلال هذا القرار أن يقلل من

استحواذ الأساقفة والرهبان على الكنيسة، وإضعاف سيطرة رجال الدين على الشعب والحكومة، وهذا لن يتحقق إلا بالقضاء على عبادة الأيقونات (Vasilive,1952,p.258) .

في حين رأى البعض الآخر أن الدوافع السياسية التي كانت وراء هذا القرار نكمن في محاولة الامبراطور إبعاد الطامعين عن العرش؛ وذلك باجراء اصلاحات داخلية حتى يتسنى له إرساء دعائم عرشه (Ostrogorowski,1969, p.143,) ورأى آخرون أن الطابع الغالب على المجتمع البيزنطي هو الروح المشبعة بالأوهام، والاعتقاد بالمعجزات، بسبب ذيوع القصص الخرافية التي تمدهم بها هذه الصور؛ وعليه أراد الأمبراطور ليو، تنقية المجتمع من هذه الخرافات التي تسيطر عليه ولا يتم ذلك إلا بإزالة الصور والرسومات (Baynes,1926,p.89).

على الرغم من أنَّ الحركة اللاأيقونية تبدو حركة إصلاحية دينية تهدف إلى تطهير المسيحية من الوثنية، وأنها جاءتْ في الوقت نفسه محاولة للإصلاح السياسي والاجتماعي، إلا أنَّ المتمعن في الأحداث التاريخية يلاحظ أن ليو الثالث ومَنْ خلفه مِنْ أسرته أراد أن يحرر الكنيسة من سيطرة رجال الدين، وأن فكرة الأباطرة القديمة ب المتمثلة في السيطرة على االسلطتين الدنيوية والدينية كانت دافعا من وراء ذلك، والدليل على ذلك هو رسالة ليو الثالث إلى البابا جريجوري الثاني التي يقول فيها:" إنني امبراطور وكاهن (Ostrogorowski,1969,p.144) كذلك رسالته الى يوحنا الدمشقي[1] قائلًا: " إن سلطة الكنيسة لا يجب أن تتدخل في سلطة الأمبراطور" (Vasilive,1952,p.259) .

استنادًا إلى ما ورد في حوليات ثيوفانس أن ليو الثالث قد أدخل عقيدة تحطيم الأيقونات في الأراضي البيزنطية تقليدًا لأفعال الخليفة يزيد لاسيما أن ليو الأيسوري ينتمي إلى الأقاليم الشرقية من الأمبراطورية البيزنطية، كما أنَّه وقف على ما حدث في هذه الاقاليم من محاربة التماثيل، و أن قرار ليو بتحريم الأيقونات جاء بعد ثلاث سنوات من قرار الخليفة يزيد بن عبد الملك (720–724م) عام(723م) الذي يقضي بتحريم الصور وتحطيم التماثيل من الكنائس في الأراضي الإسلام، ويضيف أنَّ الشخص الذي أقنع يزيد بأنْ يتبنَّى تحطيم تلك المعتقدات هو نفسه الشخص الذي ظهر بعد ذلك بوقت قصير في الأمبراطورية، ونصح ليو الثالث بالقيام بالإجراء نفسه(Theophanes,1982, p.93) كما ووصف المؤرخ ثيوفانس ليو الثالث بصاحب العقلية الاسلامية (Ibid.,p.97). لو فرضنا جدلًا أن ما قام به يزيد شجع ليو الثالث على القيام بالحملة المضادة للأيقونات داخل الأراضي البيزنطية، كان تحت التأثير الإسلامي، إلا أنه كان لتحطيم الأيقونات جذور أعمق داخل المسيحية نفسها، و كان الاستخدام المبالغ فيه للأيقونات في العالم المسيحي كافٍ لإثارة اعتراض عميق عليهم بين هؤلاء المسيحيين الذين شعروا أن هذه الممارسات شبيهة بالوثنية التي اقتحمت دينهم، والدليل على ذلك هو معارضة الأساقفة أنفسهم لعبادة الأيقونات في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، أي قبل اصطدام ليو الثالث بالمسلمين بوقت طويل. لاغرو إذاً أن ثيوفانس أراد من وراء روايته تلك تأليب الشعب البيزنطي ضد الأباطرة اللايقونيين. لذا يجب أن نخضع روايته للشك.

لم يصدر ليو الثالث قراره بمحاربة عبادة الأيقونات إلا بعد مضي عشر سنوات من حكمه، حاول أثناءها التفاوض مع جرمانوس الأول Germanus(715–729م) بطريرك القسطنطينية، إلا أن ما عرضه من اقتراحات لم تنل رضا

[1] شغل وظيفة كبيرة في دار الخلافة الأموية بدمشق ، ثم أصبح راهبًا في دير القديس سابا (قرب بيت المقدس)

البطريرك الذي يؤيده كثير من الرهبان، وعلى رأسهم الراهب حنا الدمشقي الذي كتب ثلاث رسائل دافع فيها عن الأيقونات، مبينًا فيها أهمية الأيقونة؛ كونها وسيلة تعليم للعامة (Elsener, 1988, pp. 447–491) .

فشلت مساعي ليو الثالث الودية فى الوصول إلى اتفاق مع رجال الدين، فدعا إلى عقد مجمع في عام (730م) طلب فيه من الحضور الموافقة على قرار تحطيم الأيقونات، إلا أن هذا القرار لم يحض بموافقة البطريرك جرمانوس، وعندما رفض البطريرك تم عزله، وعين بدلًا عنه أنستاسيوسAnastasius (729–752م) الذي وافق على قرار الإمبراطور، وبذلك لم يصدر قرار تحطيم الأيقونات باسم الإمبراطور فحسب، بل بتأييد الكنيسة أيضًا.(Theophanes,1982, p.100) وبتنفيذ هذا القرار تعرضت الأيقونات للتدمير، وتعرض أنصارها للاضطهاد. (Gero, 1973, p. 90) ويبدو أن هذه المساندة القوية إلى جانب الإمبراطور كانت بسبب مكانته بين قادة الجيش والجنود والتي حصل عليها بانتصاراته المتكررة على المسلمين خلال حصار القسطنطينية عام (716م).

2.1 الإمبراطور قسطنطين الخامس واللأيقونية

خلف قسطنطين الخامسConstantine V (740–775م) والده الذي توج إمبراطورًا مشاركًا منذ عام (720م)، أي: بعد مضي عام من تولي قسطنطين العرش، وبينمنا كان الإمبراطور منشغلًا في حروبه مع المسلمين ثار عليه صهره ارتاباسدوس Artabasdus زوج أخته، قائد ثغر الأرمينياق (Theophanes,1982, p.105). وكادت الثورة أن تقضي على الإمبراطور، وتبعده عن الحكم بلا رجعة، ولكن نظرًا لنشأة قسطنطين العسكرية، ومعرفته بشؤون الإداره منذ أن كان إمبراطورًا مشاركاً لوالده فى الحكم فقد استطاع القضاء على تلك الثورة وقائدها، والعودة إلى الحكم مرة أخرى.(Brubaker, &Haldon, 2011, pp.156–157). لقد عمل قسطنطين منذ العودة إلى الحكم على الاهتمام بشؤون الإمبراطورية الداخليه والخارجية، ففى المجال الداخلى، اقتفى قسطنطين الخامس أثر والده ليو الثالث مناهضة الأيقونات، فقام بتأليف ما لايقل عن ثلاث عشرة رسالة دينية (لم يبق منهما إلا اثنتان) شرح فيها الآراء اللا أيقونية وعارض فيها قسطنطين أمر تشبية السيد المسيح علية السلام (Ostrogorowski,1969, p.152).

ويبدو أن السبب في إصدار قسطنطين الخامس هذه الرسائل قبل مجمع هيرا بقليل هو توجيه المجمع إلى ضرورة إصدار قرارات معينة خاصة تتعلق بالأيقونات وعبادتها، فقد أصر في رسائله على الاتحاد الكامل بين الصورة والحقيقة التي تمثلها، وفي ذلك ردًا شافيًا للذين يرون أن الصورة مجرد رمز. وفي إحدى ضواحي القسطنطنية. وفي قصر هيرا على خليج البسفور تحديدًا، عُقد مجمع هيريا Hiereiaعام (754م) بدعوة من الإمبراطور قسطنطين الخامس، وحضره (338) أسقفًا تقريبًا؛ لتبرير سياسة تحريم الصور والأيقونات، وقد رفضت البابوية حضوره (Bigham, 2004, pp.12–13).

ويعد مجمع هيريا هو المجمع الأول لمحاربة الأيقونات؛ إذْ ناقش المجمع موضوع تحطيم الأيقونات، وأكد محاربته، وقرر المجمع مواجهة الأيقونات وتحريمها؛ لأنها انحراف وثني وهرطقة جديدة (Brubaker,&Haldon,2011,p.156)، كما حرم المجمع كلًا من يوحنا الدمشقي، والبابا جرمانوس الأول ، غير أن هذا المجمع رُفض من الشعب والرهبان، كما رفض بطاركة الإسكندرية والقدس قراراتهTheophanes) (1982, p.117 , أعقبت مجمع هيريا حملة لإزالة

الصور من جدران الكنائس وأرضيتها، كما صادر الممتلكات الرهبان لصالح الدولة أو الجيش (Ostrogoroski, 1969, p.154).

نجح هذا المجمع فى إصدار قرارات تؤيد سياسة قسطنطين الخامس، وإنزال أقسى العقوبات بمخالفي سياسته كما صادر أموالهم، وتم عزل من يجرؤ على تصوير المسيح أوتقديسه، كما لجأ إلى استخدام العنف والقسوة مع الرهبان ورجال الأديرة ولقى الكثير منهم حتفه، وشُرِّد الكثير منهم . وحسب رواية المؤرخ ثيوفانس: أنَّ ميخائيل قائد ثغر تراقيسيون (بآسيا الصغرى) جمع رهبان ولايته وراهباتها وأمرهم بأن يرتدوا الأبيض ويتزوجوا حالًا، ومن لم يطع فتسمل عيناه وينفى إلى قبرص.(Theophanes,1982 p.132) على الرغم من أنه ماعرف عن قسطنطين الخامس من تعصب وشدة تجاه الأيقونيين اننا يجب أن نأخذ رواية ثيوفانس بعين الحذر والذي عرف بكراهيته للاباطره الايقونيين.

2.2 الإمبراطور ليو الرابع بين الأيقونية واللأيقونية

تُوفي قسطنطين الخامس عام(775م) فخلفه ابنُهُ ليو الرابع Leo IV(775–780م)، الملقب بالخزري، وتعد فترة ليو الرابع القصيرة، فترة انتقال من أوج الحركة اللايقونية زمن قسطنطين الخامس، وزمن الإمبراطورة إيرين(780–797م). اتَّبع ليو الرابع في بادئ الأمر سياسة اللين مع الأيقونيين، وأظهر التسامح معهم فأعاد إلى الرهبان أديرتهم وتوقف عن الهجوم على السيدة العذراء، إلا أنَّه لم يستمر في هذه السياسة طويلًا، بل إنه قبل موته بدأ حملة اضطهاد شديدة ضدهم، فأمر بسجن كبار الموظفين الذين استمروا في تمجيد الأيقونات (Theophanes,1982, pp.136–137) .تُوفي ليو الرابع تاركًا العرش لابنه فسطنطين السادس VI الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره لذلك تولت والدته الإمبراطورة إيرين الوصاية عليها، وبوصولها للعرش أحدثت انقلابًا كبيرًا في التطورات السياسة الدنينية سواءً في كنيسة القسطنطنية أم روما.

2.3 الإمبراطورة إيرين وعودة الأيقونات:

عندما اقترب دنو أجل الإمبراطور ليو الرابع اختير ابنه قسطنطين السادس البالغ من العمر عشر سنوات إمبراطورًا ، ورُشِّحت أرملته إيرين Irene (775–780 م) وصية على العرش حتى يبلغ ولدها القاصر، فتولت أُمُّهُ إيرين زمام الأمور، وحكمت باسمه، وكانت مِنْ مُؤيدي الأيقونات، ولكنها رأت منذ بداية عهدها في الوصاية أن الجيش ما يزال معاديًا للأيقونات؛ لذا أرجأتِ النظر في إعادة الأيقونات إلى وقت آخر، وبدأت في التسامح مع عبَّاد الأيقونات، وبدأ الرهبان يظهرون من جديد في القسطنطينية (Frassetto, 2013,pp. 327–328).وفي عام (784م) عزلت إيرين البطريرك اللا أيقوني بولص عن كرسيه، وعينت بدلًا عنه الأمين الخاص للإمبراطورة تاراسيوس Tarasius في كرسي البطريركية، وعلى الرغم من أنَّ تاراسيوس كان على قدر من التعليم الديني إلا أن تنصيه كبطريرك يعدُّ سابقة في التاريخ البيزنطي، عقب تولي تاراسيوس المنصب أعلن عن ضرورة وضع حد للنزاع الأيقوني والإنفصال بين كنيستي القسطنطنية وروما، وندد بعدم شرعية مجمع هيرا وقدم مشروعًا لعقد مجمع مسكوني من أجل عودة السلام للكنيسة، كتب البطريرك تاراسيوس، وكتبت ايرين بأسمها وبأسم ابنها قسطنطين السادس إلى البابا هادريان الأول، وإلى البطاركة الشرقيين، من أجل مجمعٍ مسكونيٍّ يُعقد في القسطنطينية، و في عام (786م) اجتمع الحضور في القسطنطينية (المجمع المسكوني السادس) في كنيسة الرسل، وما كاد المجمع يبدأ أعماله حتى هاجم جند الحرس الإمبراطوري بالعاصمة

الموالين للإمبراطور قسطنطين الخامس المجمع ، و اندفعوا إلى الكنيسة شاهرين السلاح، وطردوا الممثلين الدينيين إلى الخارج الكنيسة وأرغموهم على الانصراف، فهربت الإمبراطورة (Vaslive,1952,p.263) . وفي العام اللاحق في مايو (787م) تفرغت الإمبراطورة لتحقيق سياستها الدينية، فأصدرت الأوامر بإبعاد الجند إلى أسيا الصغرى بحجة قتال المسلمين وأحضرت من تراقيا الجند الأيقونيين، وأوكلت إليهم مهمة الدفاع عن العاصمة، ودعت إلى عقد مجمع نيقية الثاني، حضره (367) من الأساقفة والرهبان برئاسة البطريرك تاراسيوس، وناب عن البابا هادريان القِسَّان بطرس وبطرس، وعن البطاركة الشرقيين الثلاثة القِسَّان توما ويوحنا، وأقر المجمع عودة الأيقونات وحرم عبادتها وأجاز وتقديس صور المسيح ووالدته والقديسين، ووضع الصور في الكنائس والأديرة والبيوت والطرقات وبالزعم من أن النظر إليها يدعو للتفكير فيها، قرر المجمع أيضًا عودة الأساقفة اللا أيقونيين إلى الكنيسة، بعد إعلان تخليهم عن الهرطقة

(Theophanes, 1982, pp.146–147) كما تقرر إبعاد كل من اعتبر الأيقونات أصنامًا، و أنَّ الايقونيين اتخذوها للعبادة، كما قرر المجمع تحويل كل الأديرة كلها إلى مقار مدنية، ومنع الأديرة المختلطة التي تضم الرهبان والراهبات معًا، وأكَّد المجمع ضرورة ربط الأيقونات بعقيدة الإخلاص كما ورد عند يوحنا الدمشقي، وأكَّد أن العبادة ليس موجهة للأيقونة، بل إلى الآلهة التي تجسدها الأيقونة.

استطاعت إيرين بعملها هذا أنْ تعيد الأيقونية،كما وضعت قراراتها موضع التنفيذ، واستبعدت أعداء الأيقونات والقياصرة أخوة زوجها من الوظائف الكبيرة، فوضعت أنصارها في الوظائف العليا بالدولة وخاصة من الخصيان، وأفرجت عن الرهبان المنفيين والمسجونيين ونالت إيرين بهذا القرارت ود الشعب ورجال الدين، على الرغم من قرارات مجمع نيقيا ظلت جذور اللا أيقونية قائمة وتجلى ذلك عندما وقع الصراع بين إيرين وابنها قسطنطيين السادس بسبب تشبثها بالوصايا رغم بلوغه سن الرشد؛ وعليه أخذ قسطنطيين في المطالبة بالعرش، و انضم إلى المعارضين اللا أيقونيين إلا أن الإمبراطورة استطاعت أن تقمع المؤامرة التي دبرت لها وباستلائها على مقاليد الحكم من جديد عادت سياسة تشجيع الأيقونات، واستمر حكم إيرين حتى تم الإطاحة بها في ثورة تزعَّمها أحد القادة وهو نيقفور فوكاس الذي قبض على إيرين وأرسلها إلى جزيرة لسيوس حيث نفيت ثم ماتت هناك (Vasiliev, 1952, pp.264–268) . وبموت إيرين بدأت مرحلة جديدة من حرب الأيقونات أو ما يسمى بإحياء الأرثوذكسية (813 – 843م).

أثر النزاع اللاأيقوني على العلاقات بين روما والقسطنطنية:

لم يستجب البابا جريجوري الثاني Gregory II (715–731) لقرارات الإمبراطور ليو الثالث وعدها هرطقة، وعلى الرغم من استعانته باللومبارد ضد بيزنطه في ايطاليا إلا انه وحرص على تجنب الشقاق مع القسطنطنية (Theophanes,1982, p.95) عقد خليفته البابا جريجوري الثالثGregory III (731–741 م) مجمعًا في روما، شجب فيه سياسة ليو الثالث اللاأيقونية، واعتبر أتباع اللا أيقونية خارجين عن الكنيسة، في الوقت ذاته أمر الإمبراطور ليو الثالث باعتقال ممثل البابا في العاصمة القسطنطينية، وبذلك عجز كلا الطرفين عن إقناع الآخر برؤيته، ولم يلبث أن تحول الصراع الديني إلى صراع سياسي، وذلك عندما انفصل وسط إيطاليا عن القسطنطينية وأصبح مرتبطًا بالغرب الأوربي. (Louth, 2007, p28)في المقابل أصدر الأمبراطور قرارًا بحرمان الكراسي الأسقفية في صقلية وجنوب إيطاليا من سلطة البابا الدينية والقضائية، وجعلها تحت سلطلة بطريرك القسطنطينية، كما فرض ليو على سكانها

الضرائب، وبذلك تحوَّلت الضريبة السنوية لتلك المناطق من البابوية إلى الإمبراطورية البيزنطية (Vaslive,1952, p.259)وأصبحت الحدود الجديدة بين الكنيسة الشرقية والغربية تطابق الحدود التاريخية بين الشرق والغرب، فضمت بطريركية القسطنطنية شبه جزيرة البلقان وجنوب ايطاليا وغلبت عليها الصبغة اليونانية، وازدادت ثراء وبذلك أخضع ليو الثالث الكنيسة لسلطة الدولة، فأصبح الطريق ممهدًا وسهلًا للإمبراطور لفرض سيطرته على بطريركية القسطنطنية .

استمر الحال على ذلك الوضع إلى أنْ تُوفي ليو الثالث، وظل صراع الأيقونات قائمًا؛ ليتصدى له ابنه الإمبراطور قسطنطين الخامس، استعان البابا جريجوري الثالث باللومبارديين ضد البيزنطيين الذين قاوموا الحاميات البيزنطية في البندقية و رافنا ونابلي وقاموا بطرد عمال الإمبراطور منها، وبمجرد سقوط رافنا في يد اللومبارديين عام (751م)، فقدت بيزنطه شمال ووسط إيطاليا، وكانت وقتها الإمبراطورية البيزنطية غير قادرة على اتخاذ موقف تجاه هذا الخطر مما دفع البابا ستيفن الثاني Stephen II (752–757م) إلى البحث عن حليف لها ضد اللومبارديين، و تم العثور على ذلك في شخص الزعيم الفرنجي (بيبين) المعروف ببيبين القصير ابن شارل مارتل (Louth, 2007, p.82)

وهكذا قام البابا ستيفن الثاني بتتويج بيبين ملكًا للفرنجة عام (754م)، ودخل الأخير إيطاليا ليحمل السلاح ضد ملك لومبارد، اندفع ببيبين بحيوشه إلى شمال إيطاليا، وحاول استولف زعيم اللومبارد التصدي له، ولكنه هُزِم ليجد نفسه يطلب الصلح، وبموجب هذا الصلح سلمت للبابوية أراضيها وحقوقها. نقض استولف الصلح، فعاد ببيبين الهجوم مرة أخرى وألحق به هزيمة نكراء اضطر استولف بعدها لدفع الجزية، ولم تلبث قوة اللومبارديين أن تضعف بعد وفاة زعيمهم استولف، إزاء هذه التطورات أدرك قسطنطيين أن إيطاليا قد أنسلخت عن الإمبراطورية البيزنطية؛ وعليه حاول إفساد التحالف بين الطرفين لكن محاولاته باءت بالفشل. ضاعت آمال الإمبراطور البيزنطي في استعادة إيطاليا عندما إعلن البابا هادريان الأول) م Hadrian (795–772م) قطع كل العلاقات الشكلية مع الإمبراطورية البيزنطية (Louth, 2007.p, 96).

مما سبق يتبين أن النزاع الأيقوني على الرغم من طابعه الديني إلا أن تأثيره السياسي كان جليًّا، وبقطيعة عام (1054) فشلت كل المحاولات في سد الخلافات بين بيزنطة الأرثوذكسية، وروماالكاثوليكية.

الخاتمة:

لجأت الكنيسة منذ فترة مبكرة إلى التزيين بالأيقونات، كما شجع رجال الدين على احترام وتقديس هذه الأيقونات، لكن مع مرور الزمن لم يقتصر وجودها على الكنائس، بل تعداها إلى المساكن والأسواق وأصبح الناس يضيئون لها الشموع، ويحرقون لها البخور ويقبلونها، وإذا ما بحثنا عن سبب تمسك عبَّاد الأيقونات بها نجد أن الأشخاص الممثلون لهذه الصور، وما عرف عنهم من تقوى وورع يدفع العبَّاد إلى أن يقاسمونهم هذا الورع؛ إيمانًا منهم بأنَّ النظر إلي هذه الصور يصلهم بأصحابها، وهم بذلك يؤكدون بأنهم لا يعبدون الصور بل يعبدون الإله غير المنظور ومنذ فترة مبكرة من ظهور المسيحية، وتحديدًا قبل وصول الإمبراطور ليو الثالث إلى سدة الحكم رفض عددٌ من رجال الكنيسة هذه البدعة واعتبرت هرطقة في العقيدة المسيحية على أن صدور قرار يقضي بإزالة الأيقونات، لم يتم إلا في عهد الأسرة الأيسورية . تذبذبت سياسة الأباطرة الأيسوريين بين مؤيد ومعارض للأيقونات؛ إذْ اتَّبع الأمبراطور ليو الثالث سياسة اضطهاد عبَّاد

الأيقونات، ووصل الاضطهاد إلى ذروته في عهد ابنه قسطنطيين الخامس، وتميزت فترة الأمبراطور ليو الرابع بالاعتدال في حين اختلفت سياسة الإمبراطورة إيرين التي عرفت بحبها وإخلاصها للأيقونات . وعلى الرغم من أن ما جاء به ليو الثالث من محاولة لإصلاح الكنيسة يقضي بتحريم تصوير المسيح بأي شكل، وكذلك تحريم عبادة صور القديسين، وتحريم طلب الشفاعة من السيدة العذراء؛ – لأن هذا كله ضرب الوثنية_، وأن موقف الأمبراطور ليو الثالث وابنه قسطنطيين الخامس جاء منسجمًا مع موقف الخليفة يزيد في مسألة الأيقونات إلا أن ذلك لا يعني أنه تأثر إسلامي خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن هذه المعلومة مصدرها ثيوفانس المؤيد للأيقونات. أمَّا فيما يتعلَّق بمعرفة الأسباب الكامنة وراء تحطيم الأيقونات فقد ثار حول حقيقتها جدل كبير الأمر الذي أبقاها غامضة، ومجهولة حتى الوقت المعاصر، وهذه الدراسة قدمت رؤية جديدة أكدت أن الصراع اللاأيقوني مرتبطٌ ارتباطًا جوهريًا بفكرة القيصرية البابوية، وأن الأمبراطور هو نائب المسيح على الأرض وسيد الدنيا، والدين في دولته. وانطلاقًا من هذه الفكرة السابقة أصبح الأباطرة يتدخلون في أمور الكنيسة، يرسمون ويعزلون الأساقفة، ويدعون لعقد المجامع الدينية، ويترأسون جلساتها، ويتخذون قرارات تتماشى مع مصالحهم. أراد الإمبراطور ليو الثالث أن يعزز هذه الفكرة ليضمن الاستقرار السياسي على العرش خاصة بعد تفوقه العسكري افشال حصار المسلمين على القسطنطنية، أدرك الإمبراطور ليو أنه لن يتسنى له ذلك إلا بالسيطرة على الكنيسة، ومن هنا كان لا بد أن يقع الصدام بين الدولة والكنيسة، الأمر الذي راح ضحيته عددٌ من رجال الدين الذين تعرضوا للاضطهاد بالتعذيب أو النفي. كان للنزاع اللاأيقوني أثر بالغ الخطورة على العلاقات السياسية بين روما والقسطنطينية؛ إذْ تميزت العلاقات بين كنيستي روما والقسطنطنية في عهد الإمبراطور ليو الثالث بالمد والجزر في بادئ الأمر إلا أنها ما لبثت أن تحولت إلى شقاق سياسي، واتسعت الهوة بين الطرفين فانسحب الغرب من الشرق اليوناني، ولجأت روما إلى الفرنجة، وأدار الشرق ظهره للغرب اللاتينيي. يمكن القول أخيرًا إن حركة مناهضة الأيقونات في بدايتها ليست إلا نزاعًا سياسيًا مع الكنيسة التي رأى فيها الإمبراطور أن الكنيسة منافس له بعد أن ضمن ولاء العناصر المستنيرة المتحررة في الدولة، وبعض كبار رجال الدولة والجيش الذين أيَّدوا الحركة اللا أيقونية.

قائمة المصادر والمراجع:

Baynes, H, Norman (1926) The Byzantine Empire, London, Thornton Butterworth.

Baynes, H, Norman (1951) "The Icons before Iconoclasm." Harvard Theological Review, Cambridge University press, Vol .44, No. 2, pp. 93–106.

Bigham, Steven (2004) Early Christian Attitudes toward Images, Rollinsford, NH: Orthodox Research Institute.

Brubaker, Leslie, Haldon, John (2011) Byzantium in the Iconoclast Era, C. 680-850: A History, Cambridge, Cambridge University press,

Elsener, John (1988) "Image and iconoclasm in Byzantium", Association of Art History, London, Vol. 11, No. 4, pp. 472-491

Frassetto, Michael (2013) The Early Medieval World: From the Fall of Rome to the Time of Charlemagne, Santa Barbara, CA: ABC-CLIO

Gero, Stephen (1973) Byzantine Iconoclasm during the Reign of Leo III, Louvain: Secrétariat du Corpus SCO. Gero.

Haldon, John & Ward-Perkins, Bryan (1999) “Evidence from Rome for the image of Christ on the Chalke gate in Constantinople”, Byzantine and Modern Greek Studies, Cambridge, Cambridge University Press, Vol. 23, No. 1, pp. 286-296

Louth, Andrew (2007) Greek East and Latin West: The Church, AD 681-1071, Crestwood, NY: St Vladimir's Seminary.

Ostrogoroski, G. (1969). History of the Byzantine State, Rutgers University Press.

Theophanes (1982) The Chronicle of Theophanes: Anni Mundi 6095-6305 (A.D. 602-813), ed and trans Turtledove, harry Pennsylvania, the university of Pennsylvania press.

Vasiliev, A. A. (1956) “The Iconoclastic Edict of the Caliph Yazid II, A. D. 721.”, in Dumbarton, Oaks Papers, 9/10, pp.23–47

Vasiliev. A. A. (1952). The History of the Byzantine Empire, Vol.1, the University of Wisconsin Press, Wisconsin.

Whitby, Michael. (1988). The Emperor Maurice and His Historian: Theophylact Simocatta on Persian and Balkan Warfare. Oxford: Oxford University Press.